من عباده فان الامام عليه الصلاة والسلام الانسان طول عمره لا ينفك عن زلات امامي باب
الصغاير او ترك الاولى ثم انه لما بين ما اصابهم ومن معه من المؤمنين من مشاق هذا
السفر وصبرهم على شدايدها اخبر الله انه ان تحمل تلك الشدايد صارت مكفرة لجميع ما صدر
عنهم من الزلات وصارت قايمة مقام التوبة المقرونة بالاخلاص ولذلك قال لقد تاب
الله على النبي الآية قوله حتى شربوا النفط وهو ماء الكرش عن عمر رضي الله عنه في قيظ شديد واصابنا
فيه عطش شديد حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله
ان الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله لنا فقال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى اظلت السماء
ثم سكبت فملأوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر وفيها كانت قصته دعائه
بتمر قليل وجعله في قصعة ودعا له بالبركة حتى اخذ الناس وهم اكثر من ثلثين الفا ازوادهم والتمر
بحاله وفيها كانت قصعة وضعه كفه في ماء قليل وانفجار الماء من اصابعه الشريفة حتى شربوا
وسقوا دوابهم وملأوا اوعيتهم قوله وفي كاد ضمير الشان او القوم الذي دل عليه ذكر
ذكر المهاجرين والانصار وقلوب مرفوع على انه فاعل تزيغ والجملة في محل النصب على انها خبر كاد اذ كان
جملة لا بد ان يكون فيها ضمير يعود الى اسمها الا اذا كان اسمها ضمير الشان فح لا يجب ان يكون فيها ضمير يعود
الى اسمها وفي الآية ان جعل اسم كاد ضمير القوم يكون خبرها مشتملا على ضمير القوم وهو ضمير
منهم وان جعل اسمها ضمير الشان فلا يكون خبرها مشتملا على ما يعود الى اسمها ولا اخبر قوله
والعايد عليه اي على اسم كاد على ان يكون ضمير القوم فان ضمير منهم لا يصلح ان يرجع الى الشان والزيغ
ويحتمل ان يكون المراد بهذا الزيغ على الايمان بان يخطر على بالهم ذلك على طريق حديث النفس [من الثبات]
من غير ان يعزموا على ذلك ويحتمل ان يراد به الزيغ عن الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بان هموا ان ينصرفوا في غير وقت الانصراف من غير ان يؤذن لهم في ذلك للشدائد التي
اصابتهم في تلك الغزوة لكنهم صبروا واحتسبوا وندموا الى ما هموا على قلوبهم فتاب الله
عليهم والساعة تستعمل في اللغة بمعنى الزمان كالغداة والعشية واليوم قال
الشاعر غداة طفت علماء بكر بن وايل اي زمان طغيان بكر بن وايل على الماء وقال
حسبنا كل بيضاء شحمة عشية قارعت جذام وحميرا وقال اذا جاء وارتقى يوما بنيت الفتى
فالمراد بساعة العسرة الزمان الذي وقع فيه غزوة تبوك فانه قد اصابهم فيها مشقة
عظيمة من شدة الحر وشدة الجوع والعطش من قلة الزاد والماء والمركب ولذلك سميت
غزوة العسرة وسمي من جاهد فيها بجيش العسرة قوله تكرير للتاكيد فان تكرير
الحكم يدل على تحققه وتقرره منه اذا قيل عفى السلطان عن فلان ثم عفى عنه يفهم منه ان ذلك

ذلك العفو محقق بالغ الى غاية القوة والكمال وهذه التوبة المحققة المؤكدة لما علقت
باتباعهم اياه عليه السلام في ساعة العسرة ومكابدتهم لما وقع فيها من الشدايد كان التكرير منبها
على علية المكابدة لتاكد التوبة وتحققها قوله او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم اي كل
ما ان يكون المراد بقوله ثم تاب عليهم على علية المكابدة بل يكون المراد به التنبيه على علية
الكيدودة لتاكيد التوبة نظرا الى ان تلك التوبة المؤكدة علقت بكيدودة
قلوب فريق منهم تزيغ عن الحق بناء على ان ضمير عليهم في قوله ثم تاب عليهم
للفريق الذي كاد ان يزيغ قلوبهم فتكون التوبة المذكورة معلقة بكيدودة قلوبهم
الى ان تزيغ فدل على الكيد ولذا كانه قيل ثم تاب على فريق الذي كاد تزيغ قلوبهم [عليهم]
لكيدودة الزيغ قوله خلفوا عن الغزوة او خلف امرهم ذكر تسميتهم مخلفين وجهين
مع انهم لم يخلفهم احد وانما تخلفوا بارادتهم الاول انهم وان تخلفوا الا انهم جعلوا كان
من خرج الى الغزو وخلفهم وتركهم خلفهم فعبر عنهم بالمخلفين لذلك والثاني انهم لما لم يحكم
في حقهم شيء من التعذيب او قبول توبتهم بل جعلوا مرجون لامر الله في شانهم
عبر عنهم بالمخلفين حيث خلف امرهم الى ان يحكم الله كما في حقهم عما شاء وانه عم
قال لكعب بن مالك الشاعر حين قدم المدينة ما خلفك الم تكن ابتعت ظهرك
فاجابه كعب بان قال ما خلفني عنك عذر وانما تخلفت لمجرد الكسل وقلة الاهتمام فقال له
عم اقم عني حتى يقضي الله فيك وكذا قال عليه السلام لصاحبيه هلال بن امية ومرارة بن الربيع
وكانا رجلين صالحين من الانصار شهدا بدرا وهلال هو الذي نزل فيه آية اللعان
وكعب وان لم يشهد بدرا الا انه شهد العقبة فارجى امرهم الى ان يقضي الله فيهم فلما اخر
امرهم جعلوا مخلفين قوله لاعراض الناس عنهم بالكلية فانه عم نهى المسلمين عن المكالمة معهم
ولو بالسلام وزجره ومن المجالسة معهم باي وجه كان وامر عليه السلام بان يعتزلوا
عن ازواجهم ومع ذلك كان عليه السلام معرضا عنهم لا ينظر اليهم فكانوا يخافون ان يموتوا
فلا يصلي الرسول صلى الله عليه وسلم ولا المؤمنون على جنازتهم قوله من فرط الوحشة
والغم اي امتلاء قلوبهم بفرط الوحشة والغم بحيث لم يبق فيها ما يسعها شيء
من الراحة والانس والسرور وعبر عن الراحة والسرور بضيق عليهم حيث قرضا
عليهم تشبيها على التقاعد الراحة والسرور بمنزلة انعدامها قوله ثم تاب عليهم بالتوفيق
للتوبة عليهم بقبولها منهم اذ لا وجه لان يقال قبل توبتهم ليتوبوا فسرها اولا بالتوفيق للتوبة
على طريق التعبير عن الشيء بما يتوقف هو عليه لان التوفيق سبب لحصول ما يترتب عليه نفس توبتهم

Copyright © King Saud University